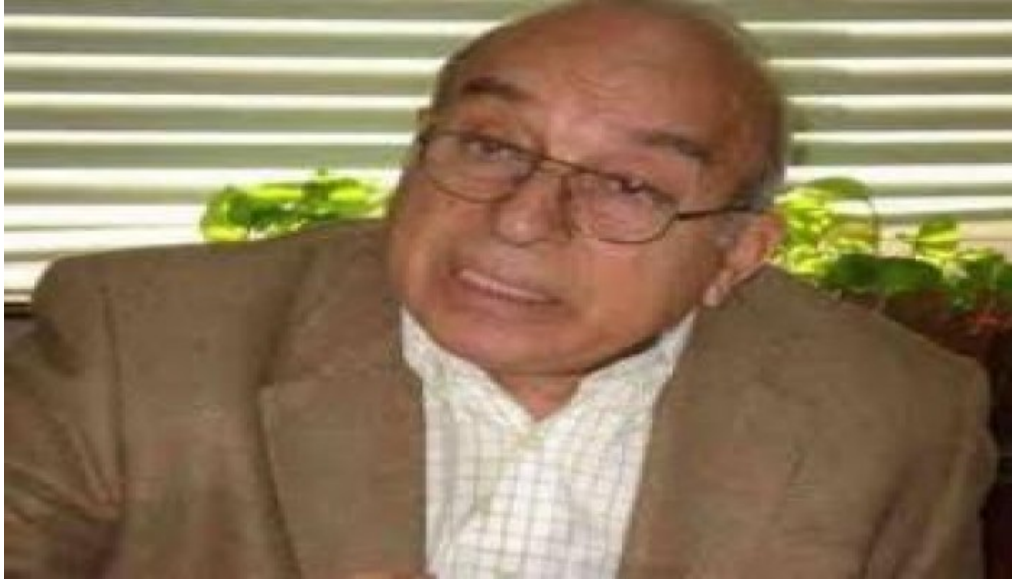




الخميس 7 يونيو 2012 12:06 م

مساء الثلاثاء الماضي (5/6) كنت ضيفا على أحد برامج محطة تليفزيون (بي بي سي)، التي كانت فكرته تدور حول تحليل الوضع الراهن في مصر من خلال تعليقات المواطنين ورسومات الفنانين التي تظهر على شبكة التواصل الاجتماعي أو تنشر على صفحات الصحف. وكان بين الحضور ثلاثة من الناشطين والفنانين الذي قدموا بحسابهم «خبراء» إضافة إلى جمهور كانوا خليطا من الشبان والفتيات من مختلف الأعمار.

قبل بدء التسجيل جلسنا نتحدث عن محاكمة مبارك والانتخابات الرئاسية في غرفة جانبية، ولاحظت أن شخصا ممثلا الجسم انضم إلينا، وظل صامتا طول الوقت، في حين كان يتصيب عرقا وهو يتابع الحديث. وبينما كنا نتكلم رغب أحد الفنانين في التعرف عليه، فتمتم بكلام غير مفهوم. ويبدو أن صاحبا شك في أمره فسأله مباشرة عن رأيه في محاكمة مبارك، فكان رده أنه متعاطف معه. ثم عاد إلى صمته والعرق يتصيب منه.

لم أكن أعرف أن أحد الناشطين الثلاثة من المتعاطفين أيضا مع مبارك، لكنني اكتشفت ذلك حين طلب منه التعليق على رسم كاريكاتوري صور فلاحا اعتبرها الرسام رمزا لمصر، استوقفت سيارة أجرة وطلبت من السائق أن يحملها إلى ميدان التحرير. وكان الرسم يصور الحالة المصرية وغضب الناس بعد إعلان الحكم على مبارك وتبرئة أعوانه في وزارة الداخلية،

في تعليق صاحبا - وهو شاب نحيف بدا متوترا وعصبى المزاج - أن التي استوقفت سيارة الأجرة ليست مصر، ولكنها سيدة ترتدي الزي «الإخواني»، وكأنه أراد أن يقول إن الذين تظاهروا في ميدان التحرير هم الإخوان المسلمون فقط، وأن الشعب المصري لم يكن طرفا في التظاهرة الحاشدة. في اجترار للشائعة التي تحرص بعض الأبواق على الترويج لها هذه الأيام، التي يراد بها إيهام الرأي العام بأن الصراع الحاصل ليس بين الثورة والثورة المضادة ولكنه - كما كان طوال الستين سنة الماضية - بين السلطة والإخوان. وهي ذات اللغة التي تحدث بها اللواء عمر سليمان رئيس المخابرات السابق، في الحوار الذي نشرته له جريدة الحياة اللندنية، أن ادعى أن الذين عارضوا ترشحه للرئاسة كان الإخوان المسلمون وحدهم، وليس الجماعة الوطنية المصرية.

تدخلت في الحوار قائلا ذلك تشخيص مغلوط، لأن السيدة التي ظهرت في الصورة ترمز للفلاحا المصرية العادية، والزي الذي ترتديه شائع في كل أنحاء مصر، وفي القرى فإن المسلمات والقطيات يرتدين نفس الزي، (وهو شهد به إدورد لين في كتابه الشهير «المصريون المحدثون»). سكنت صاحبا ولم يرد، لكنه انفع حين ظهرت صورة كاريكاتورية أخرى لمبارك في أشكال متعددة، حيث بدا هو الرئيس وهو المحقق وهو القاضي، في إشارة إلى أن أصابعه لا تزال تتحرك في مصر. إذ قاطع الرجل زميلنا خالد عز العرب مقدم البرنامج وهو يتحدث قائلا إنه لا يجوز السخرية من مبارك فما كان منه إلا أن دعاه لأن يلتزم الهدوء أثناء التسجيل لأنه هو الذي يدير الحلقة، وإلا اضطر إلى مطالبته بمغادرة الاستوديو. حينئذ انفع صاحبا وهب واقفا واتجه إلى باب الخروج. ولم تكن هي المفاجأة الوحيدة التي أدت إلى إيقاف التسجيل، لأنني فوجئت أيضا بنحو عشرين شخصا كانوا يحتلون ركنا جانبا (أغلبهم من السيدات والفتيات) نهضوا بدورهم وساروا وراءه، ولاحظت أن في هذه المقدمة منهم الرجل ممثلا الجسم الذي كان يتصيب عرقا، وفي خروجهم كانوا يهتفون بما اعتبروه أفضال مبارك علينا، فرد عليهم بقية الجالسين مطالبين بإخراجهم، وطلوا يهتفون «بزه.. بزه».

ما حدث خارج الاستوديو لم نعرف به إلا بعد انتهاء التسجيل، إذ قال لنا الفنيون والعمال أن المجموعة كانت تقودهم سيدة بديئة عالية الصوت وبديئة اللسان ظلت تسب وتنشتم وتحاول الاشتباك مع بعض العاملات في المكان. ووسط الهتافات والهرج حاول بعضهم اقتحام الغرف المجاورة وتعطيل التصوير، إلا أن العاملين احتشدوا وحالوا بينهم وبين ما يريدون. ثم اكتشفوا أن بعض البلطجية والنسوة الأخريات كانوا يقفون بالباب الخارجى، ومعهم لفافات تحمل صور الرئيس السابق. وكانوا قد جاءوا بعد بدء التسجيل ولكن عناصر الأمن منعهم من الدخول. وطلوا إلى جوار سيارات كانت تنتظرهم في الخارج.

قيل لى إن ما أنفذ الموقف أن أحد العاملين قال لزملائه بصوت مسموع أن سيارات الشرطة قادمة في الطريق، الأمر الذي دفع المجموعة إلى المسارعة بالابتعاد واللاحاق بالسيارات المنتظرة.

المشهد الذي رأيته كان استنساخا لموقعة فض البلطجية للمؤتمر الصحفى الذي عقد في نقابة الصحفيين لكشف مخالفات

الفريق احمد شفيق فى وزارة الطيران.. الاله من ذلك انه جاء دالا على ان شبكة النظام، القديم لا تزال تعمل. وان هناك من سرب خبر البرنامج التليفزيونى إلى مسئول فى الشبكة، فرتب بقية التفاصيل. الحشد والبلطجية والنسوة اللاتى كان الأمن يطلقهن على المشاركات فى المظاهرات، إضافة إلى صور مبارك وسيارات الركوب ووجبات الطعام والمثلجات التى وزعت على الجميع. وحين تتم كل تلك الترتيبات للتعامل مع برنامج تليفزيونى، فلنا أن نتصور ما يتم ترتيبه للانتخابات الرئاسية، ليس لصالح الدكتور محمد مرسى بطبيعة الحال.